القدس.. أصل الحكاية وتداعياتها

إعداد:

الدكتورة رولا حطيط

بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس محتويات

الفهرس..... ٣

مقدّمة..... ٤

القدس تاريخيًّا..... ٥

مسار قرار ترامب في جعل القدس عاصمة «إسرائيل»..... ٦

المقاومة في القدس..... ٧

١. توقيع عرائض الاستنكار والمذكرات الاحتجاجية..... ٧

٢. المظاهرات والصدامات..... ٨

٣. عمليّات الطعن بالسكاكين..... ٨

٤. العمليّات المسلّحة..... ٩

٥. الرباط والصمود..... ٩

مقاومة التطبيع..... ١٠

٦- الانتفاضات الشعبية..... ١٣

أ- الانتفاضة الأولى (١٩٨٧ - ١٩٩٣):..... ١٣

ب- الانتفاضة الثانية: انتفاضة الأقصى (٢٠٠٠ - ٢٠٠٤)..... ١٥

ت- الانتفاضة الثالثة: (٢٠١٤- ٢٠١٥)..... ١٦

يوم القدس العالمي..... ١٧

الوضع القانوني للقدس..... ١٨

القدس في خطر ١٩

خلاصة..... ٢٢

مقدّمة

ليس من مدينة يعرفها الناس، في الشرق والغرب، عند العرب كما عند الغرب، مثل مدينة القدس.. وليس من مدينة يتبرّك الناس بسيرتها ومواقع القداسة فيها التي تجمع بين أتباع الأديان السماويّة: اليهوديّة والمسيحيّة والإسلام، كما مدينة القدس؛ فهي عاصمة فلسطين، وهي مدينة عربيّة تحتوي على الكثير من المقدّسات، وأهمّها المسجد الأقصى وكنيسة القيامة. لكلّ نبيّ فيها مقام ومعراجه إلى السماء، بدءًا من النبيّ موسى (ع) الذي استعان بأخيه هارون ونقش الوصايا السماويّة على الحجارة، ثمّ النبيّ عيسى (ع) الذي لم يستجب لدعوته إلّا قّلة من المؤمنين، أمّا النبيّ محمد (ص) الذي لم يزر القدس، ولم يتجوّل بين أماكن القداسة فيها، فقد أسرى به ربّه من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى في رحلة فوق البراق، ليشرّفه بالتجوال بين المقدّسات الجامعة والمباركة لدى أتباع الأديان السماويّة الثلاثة.

فما هي الرمزيّة التي تحظى بها مدينة القدس؟ وكيف واجه المقدسيّون الاحتلال الإسرائيليّ على مدى أعوام ولم يزالوا؟ وما المخاطر التي تواجه القدس في ظلّ الاضطرابات التي تشهدها الدول العربيّة، ولا سيّما بعد إعلان ترامب القدس عاصمة لإسرائيل؟ أسئلة كثيرة تستحضرنا في معرض حديثنا عن مدينة القدس، وسوف نحاول في هذا المقال الإحاطة بأبرز المحطات التاريخيّة التي عايشتها القدس بهدف الإجابة عن هذه الأسئلة.

القدس تاريخيًّا

القدس مدينة حافلة بتاريخ غنيّ لأهميّتها الجغرافيّة كما الدينيّة، ولا سيّما أنّها بقعة تواصل العالم القديم بقاراته الثلاث، ما جعلها هدفًا لجميع القوى السياسيّة الدوليّة تاريخيًّا، ولقد وقع الجزء الغربيّ من المدينة تحت الاحتلال الصهيونيّ في العام ١٩٤٨ في حرب «النكبة»، حيث استطاعت المنظّمات الصهيونيّة، وعلى رأسها «الهاجانا»، احتلال ٧٨% من أرض فلسطين، وجزءًا كبيرًا من القدس؛ فسمّيت المنطقة التي احتلّتها بـ«غرب القدس»، والمنطقة التي بقيت تحت سيطرة القوّات الأردنيّة بـ«شرق القدس»، وقد وقعت تحت الاحتلال الصهيوني عام ١٩٦٧.

سعت سلطات الاحتلال الإسرائيليّ منذ الساعات الأولى لاحتلالها مدينة القدس إلى تغيير معالمها العربيّة، وبناء حدود جديدة لها، تصبّ في دائرة مصالحها بتهويد المدينة وأسرلتها، واختراع إرث تاريخيّ يهوديّ فيها، والعمل على محاصرتها وعزلها عن امتدادها الفلسطينيّ العربيّ والإسلاميّ، من خلال أطواق استيطانيّة متعدّدة، وجدر فاصلة، وحواجز عسكريّة، وصاحب ذلك تهجير ممنهج لأهل القدس الفلسطينيّين، واستبدالهم بمستوطنين يهود متطرّفين؛ لتحويل القدس العربيّة الإسلاميّة إلى مدينة مفرغة من سكّانها الأصليّين[١].

وعليه، فإنّ الدعوة إلى تحرير القدس، وسائر فلسطين لدى المؤمنين بالرسالات السماويّة جميعًا، ليست دعوة عنصريّة، ولا هي دعوة مذهبيّة، إنّما هي دعوة إلى تحرير أرض القداسة من العصابات الصهيونيّة التي احتلّتها ضمن خطة استعماريّة شاملة ، حيث عمدت «إسرائيل» إلى احتلال شرق مدينة القدس عام ١٩٦٧ وكان هدفها السيطرة الكاملة على المدينة، وتهجير أهلها وتهويد المعالم المقدّسة فيها، مستخدمة أعتى وسائل القمع والإرهاب لمواجهة صمود المقاومين الفلسطينيّين المقدسيّين.

وفي ظلّ هذا الواقع الأليم، نسأل: كيف ستنتهي هذه اللعبة، بل هذه الدوّامة؟ ماذا سيصيب الشعب الفلسطينيّ البائس في حال أكملنا في المسار نفسه؟ هل من أمل في أن يرتاح ويحقّق حلمه؟ فمنذ سقوط مدينة القدس والفلسطينيّون يحاولون التصدّي للاحتلال الصهيونيّ ومواجهة مؤسّساته العسكريّة، والسياسيّة، والتشريعيّة، والقضائيّة المختلفة، بإمكاناتهم المتواضعة.

وثمّة مفارقة في أنّ «أورشليم الإسرائيليّة» تعدّ داخل السياسة على المستوى العالميّ، بالرغم من انطلاق التسمية من الخرافة التوراتيّة؛ ذلك لأنّ السلاح يدعم هذا الادّعاء، ما يجعله بقوّة الأمر الواقع «منطقًا» يتقبّله العالم. أمّا «القدس الفلسطينيّة» (العربيّة) فهي عالميًّا خارج السياسة، وإن بقيت داخل الإطار الدينيّ بشكل ما، على أنّ قداستها لا تعطيها هويّة منفصلة إنّما هويّة تتناقض مع الكيان الصهيونيّ.

مسار قرار ترامب في جعل القدس عاصمة «إسرائيل»

في ظلّ انشغال حكّام العرب بمنازعاتهم وخلافاتهم، واصلت «إسرائيل» جهودها لتهويد القدس، قاوم الفلسطينيّون تارة مقاومة مسلّحة، وأخرى من خلال انتفاضات سلميّة واجهتها فتح بقوّة مفرطة وعنف ممنهج لم يخجل ممارسوه من ارتكاب جرائم ضدّ الإنسانيّة وانتهاكات مفزعة، وثّقتها التقارير الدوليّة الكثيرة، حكوميّة وغير حكوميّة. بين عام ١٩٦٧ واليوم، دخل نضال الشعب الفلسطينيّ في أطوار عدّة ومنحنيات

[١]- منظمة التحرير الفلسطينية، اللجنة التنفيذية، دائرة شؤون القدس، ممارسات واجراءات الاحتلال الاسرائيلي منذ حزيران ١٩٦٧- ٢٠٠٩، سلسلة أوراق القدس، ص ٤.

صعبة، صعودًا وهبوطًا لحركة التحرّر الوطني التي قادتها منظّمة التحرير الفلسطينيّة بفصائلها المختلفة، قبل أن تتشكّل في الضفّة الغربيّة وقطاع غزّة حركة المقاومة الإسلاميّة حماس (في ثمانينيّات القرن العشرين)، وقبل أن تتبلور أحزاب المعارضة العربيّة داخل إسرائيل. وتعاقبت مراحل المقاومة المسلّحة، وأحيانا تواكبت، متبوعة بالانتفاضات السلميّة: (الانتفاضة الأولى ١٩٨٧-١٩٩٣)، (الانتفاضة الثانية: انتفاضة الأقصى ٢٠٠٠-٢٠٠٤)، (الانتفاضة الثالثة ٢٠١٤-٢٠١٥) التي تلتها مفاوضات للتسوية السلميّة على أساس حلّ الدولتين وجعل القدس عاصمة لهما، الجزء الشرقيّ لفلسطين والغربيّ لإسرائيل، قامت سلطة وطنيّة فلسطينيّة في الضفة الغربيّة، ولم تقم بعد الدولة المستقلّة، ولم يتوقّف لا إرهاب الدولة ولا الإجرام الاستيطانيّ لا في القدس ولا في الضفّة.

أنهت إسرائيل بصورة أحاديّة احتلالها لغزّة وانسحبت عسكريًّا منها، غير أنّ صراعها المسلّح مع حماس لم يتوقّف، وتكرّرت حروب تدمير القطاع، وتواصل الحصار الظالم لأهله.

تلاحقت الانتفاضات السلميّة للفلسطينيّين داخل إسرائيل وفي الأراضي التي احتلّت في ١٩٦٧، وألهمت العرب، وأيقظت بعض الضمائر على امتداد العالم بعد أن واجه الأطفال والشباب والنساء والرجال آلة القتل الإسرائيليّة وإرهاب الدولة تارة بالحجارة وتارة دونها.

فاوضت السلطة الفلسطينيّة الحكومات الإسرائيليّة منذ منتصف التسعينيّات، من دون أن يسفر ذلك عن قيام الدولة المستقلّة أو إقرار حقّ العودة، أو حتى مجرّد إيقاف الإجرام الاستيطانيّ، وقاومت حماس عسكريًّا، فدمّر القطاع وحوصر أهله ولم تتراجع الجرائم الإسرائيليّة. وفي ٦ ديسمبر ٢٠١٧ أعلن الرئيس الأمريكيّ دونالد ترامب اعترافه بالقدس عاصمة لإسرائيل، وقرر نقل سفارة بلاده إلى المدينة المقدّسة، ليقضي بذلك على أحلام ملايين الفلسطينيّين ممن يتمسّكون بالمدينة المقدّسة عاصمة لدولتهم التي يأملون بإقامتها على حدود ١٩٦٧.

على الرغم من تأكيد مجلس الأمن أنّ أيّ قرار أحاديّ الجانب حول وضع القدس ليس له أيّ مفعول قانونيّ ويجب إبطاله، فإنّ الولايات المتحدة الأمريكيّة لم تنصَع كالعادة، وتمّ في ١٤ مايو/ أيار ٢٠١٨ نقل السفارة من تل أبيب إلى القدس، وجرى افتتاح رسميّ لها بالتّزامن مع إحياء الفلسطينيّين الذكرى الـ٧٠ للنكبة.

وشكّل القرار ضربة قاضية لحلّ الدولتين بإخراج ملف القدس من أيّ مفاوضات بين الفلسطينيّين والإسرائيليّين، مع أنّ الجانب الأمريكيّ نفسه كان قد طمأن الفلسطينيّين منذ مفاوضات مدريد في نوفمبر/ تشرين الثاني ١٩٩١ بأنّ الوضع النهائي لمدينة القدس تحدّده المفاوضات بين الجانبين، وأنّ التحرّكات الرسميّة العربيّة ردًّا على هذه الخطوة لم ترتقِ إلى خطورة الموقف.

المقاومة في القدس

انتهجت قوّات الاحتلال سياسة «الأمر الواقع»، فسارعت إلى إيجاد الحقائق والوقائع على الأرض، لوضع الفلسطينيّين والعرب والمسلمين أمام هذا التحدّي، وجعلت لهذه الحقائق مظاهر مزعومة ثلاثة: «وحدة

القدس، والهدوء في القدس، والتعايش». ومن أجل تحقيق هذه المظاهر، عمدت الحكومات الإسرائيليّة إلى إصدار قوانين مختلفة اعتنت بضمّ القدس إداريًّا وقضائيًّا، واعتمادها العاصمة الرسميّة، والإشراف على المدارس ومصادرة الأراضي، والسيطرة على الأماكن المقدّسة، وحلّ مجلس أمانة القدس، ومصادرة كافة ممتلكات الحكومة الأردنيّة وسجلّاتها فيها، إلى غير ذلك من الإجراءات[٢]. وهذه الاعتداءات والإجراءات ضمن مجمل الإجراءات العسكريّة كانت سببًا كافيًا لدفع المقدسيّين إلى مقاومة الاحتلال بكافة السبل والوسائل، إضافة إلى شعورهم بالخذلان، فبالرغم من أنّ مدينة القدس أرض محتلّة وفق ١٩ قرارًا دوليًّا فإنّ حكومات إسرائيل المتعاقبة تتجاهل هذه القرارات بشكل مطلق[٣]، كما أنّهم رفضوا مخرجات مؤتمر مدريد واتفاقيّة أوسلو فيما يتعلّق بالمدينة المقدّسة، وطالبوا بإعادة الاعتبار لها من حيث إنّها قضيّة تحرير[٤]، هذا بالإضافة إلى معاناة المقدسيّين المستمرّة طيلة سنوات الاحتلال، على المستويات الاقتصاديّة، والاجتماعيّة، والتعليميّة، والسكّانيّة، وحتى الترفيهيّة؛ نتيجة العنصريّة في تطبيق الاحتلال لسياسات هدم المنازل، وطرد السكّان، وسحب الهويّات، وفرض الغرامات والمخالفات الباهظة، وفقدان الثقة في قدرة السلطة الوطنيّة على الدفاع عن نفسها ومواطنيها في الضفة الغربيّة والقطاع، في ظلّ انسداد الأفق التفاوضي بين السلطة الفلسطينيّة والإسرائيليّين الذين يتنكّرون لأيّ اتفاقيّات وتعهّدات في الشأن الفلسطينيّ.

وبالرغم من أثر الصدمة الشديدة التي تلقّاها المقدسيّون نتيجة احتلال المدينة، فإنّ مجموعات منهم قد قاومت الاحتلال بأساليب متنوّعة، ومنها:

١. توقيع عرائض الاستنكار والمذكرات الاحتجاجية

رفض المقدسيّون ضمّ الاحتلال الإداريّ والسياسيّ للمدينة، كما رفضوا التخلّي عن عقاراتهم وممتلكاتهم أو إخلائها، وظهر ذلك على شكل احتجاجات وإصدار بيانات وتصريحات ترفض هضم حقوقهم من قبل السلطات الإسرائيليّة، فأرسلوا المذكّرات الخطيّة والرسائل إلى المعنيّين بدءًا بالأمم المتحدة ومجلس الأمن، وكذلك إلى الملوك والزعماء العرب والمسلمين، وانتهاءً بمؤسّسات الاحتلال المختلفة ممثّلة بالحكم العسكريّ وغيره[٥].

ولقد اختصّت مدينة القدس عقب الاحتلال ١٩٦٧، عن باقي مدن الضفّة الغربيّة، بوجود مركز للمؤسّسات الوطنيّة والسياسيّة، وبكثرة الشخصيّات الاعتباريّة الوطنيّة، ولهذا كان من الطبيعيّ أن تتبلور الكثير من المواقف السياسيّة الرافضة لإجراءات الاحتلال وانتهاكاته في صورة بيانات سياسيّة ساخنة، ومنشورات فوريّة تعالج الأحداث أوّلًا بأوّل[٦]، واتّخذت هذه البيانات والمنشورات صفة التوعية والتوجيه والتحريض الفعّال في التعبئة والتصدّي للأحداث، وقيادة الجماهير وتشجيعها على رفض الاحتلال بكافة صوره، كما كانت لهذه البيانات أهداف تعبويّة تتمثّل في توضيح الخلفيّة السياسيّة والعسكريّة وراء إجراءات الاحتلال،

---

[٢]- منظمة التحرير الفلسطينية، مصدر سابق ، ص: ٦٢.
[٣]-أحمد فارس عودة، بين الانتفاضتين، رام الله، المركز الفلسطيني للدراسات الإقليمية، ٢٠٠٦، ص ٢٢٢.
[٤]- أحمد صدقي الدجاني، الخطر يتهدد بيت المقدس، القاهرة، المركز العربي للإعلام، ٢٠٠١، ص ٩٩.
[٥]- نواف الزرو، القدس بين مخططات التهويد ومسيرة النضال والتصدي الفلسطينية، عمان، دار الخواجا للنشر والتوزيع، ١٩٩١، ص: ٨٥
[٦]- المرجع نفسه

وكذلك إظهار أهداف المسيرة النضاليّة المتمثّلة بتعزيز صمود المقدسيّين في وجه المحتلّ وآليّته العسكريّة، ورفض كافة إجراءاته وانتهاكاته، وبيان برنامج الفعاليّات والنشاطات، إضافة إلى ترسيخ العلاقات بين شرائح المقدسيّين من جهة، وبينهم وبين قادة النضال من جهة أخرى[٧].

٢. المظاهرات والصدامات

يحيي الفلسطنيّون يوم الأرض في ٣٠ آذار من كلّ سنة، وتَعود أحداثه إلى آذار ١٩٧٦ بعد أن قامت السّلطات الصهيونيّة بمصادرة آلاف الدّونمات من الأراضي ذات الملكيّة الخاصّة أو المشاع في نطاق حدود مناطق ذات أغلبيّة سكانيّة فلسطينيّة، وقد عمّ إضراب عام ومسيرات من الجليل إلى النقب، وخرجت المظاهرات الكبيرة، فواجهتها قوّات الاحتلال بالعنف الشديد، وأطلقت النار على المتظاهرين، وقتلت منهم ستة، وجرحت العشرات، واعتقلت نحو ثلاثمئة فلسطينيّ[٨]، ويعدّ يوم الأرض حدثًا محوريًّا في الصراع على الأرض، وفي علاقة المواطنين العرب بالجسم السياسيّ الصهيونيّ حيث إنّ هذه هي المرة الأولى التي يُنظم فيها العرب في فلسطين منذ عام ١٩٤٨ احتجاجات ممنهجة ومدروسة ردًّا على السياسات الصهيونيّة بصفة جماعيّة وطنيّة فلسطينيّة.

٣. عمليّات الطعن بالسكاكين

شهدت مدينة القدس أسلوب «حرب الخناجر»، نتيجة للاحتكاك اليوميّ بين المقدسيّين والإسرائيليّين، وكذلك للحساسيّة الفائقة المتعلّقة بمكانة القدس في السياسة والإعلام.
لقد تمّ تنفيذ العديد من عمليّات الطعن بالخناجر ضدّ الجنود والمستوطنين داخل البلدة القديمة وخارجها، الأمر الذي أبقاهم في حالة تأهّب ورعب مستمرّة، فضلًا عن الإرباك الدائم الذي كان يصيب قادة الأمن الإسرائيليّ في مجابهة هذا النوع الفعّال من أساليب المقاومة بحيث يصعب تفاديه[٩].

٤. العمليّات المسلّحة

كانت مدينة القدس الطريق الذي يعبر منه فلسطينيّو شمال الضفة الغربيّة إلى جنوبها وبالعكس، ومنها باتجاه غور الأردن أيضًا، ولقد نفّذ الشباب المقدسيّون العشرات من العمليّات المسلّحة المتنوّعة، ما بين وضع عبوات ناسفة، أو إطلاق نار، أو إلقاء قنابل حارقة أو يدويّة، وقد تركّزت المقاومة خلال سنوات السبعينيّات في القدس الغربيّة، ثم توسّعت في الثمانينيّات والتسعينيّات لتشمل المنطقة المسمّاة «خطّ الهدنة»، والتي تفصل شرق المدينة عن غربها، وشملت كذلك المستوطنات الواقعة شرق المدينة، إضافة إلى البلدة القديمة[١٠].

٥. الرباط والصمود

---

[٧]- المرجع السابق، ص:٩٢
[٨]-قسم الأرشيف والمعلومات، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، المقاومة الشعبية في فلسطين، سلسلة تقرير معلومات، بيروت ، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، ٢٠١٤، http://bit>?ly\2hWdGea
[٩]- نواف الزرو، ص: ٦٥-٧٥
[١٠]-جادي فارن وأخرون، التعامل مع الإرهاب في مدينة القدس ٢٠٠٢-١٩٦٧، معهد القدس للدراسات الإسرائيلية،٢٠٠٥، ص ٢٤.

برزت ظاهرتان في القدس، ألا وهما ظاهرة الرباط وظاهرة الصمود:

أ- ظاهرة الرباط:

لطالما افتخر المقدسيّون بمقاومة الاحتلال من خلال «الرباط والمرابطة»، ولقد أطلق تعبير «الرباط» أواخر التسعينيّات من القرن العشرين على المعتكفين في المسجد الأقصى في مواجهة اقتحامات الاحتلال أو المستوطنين، ثمّ أصبحت كلمة «المرابطون» صفة القاطنين في مدينة القدس، يوصفون بها بشكل عام، كونهم يواجهون سياسات الاحتلال وإجراءاته القمعيّة، حيث يعيش المقدسيّون والمصلّون أحيانًا كثيرة يومًا وليلة من الرباط أو أيّامًا متواصلة داخل المسجد الأقصى منعًا للمستوطنين من اقتحامه، وتأدية تراتيل وشعائر تلموديّة. وبرز دور النساء المقدسيّات في المسجد الأقصى بشكل واضح منذ سنة ٢٠١٣، حيث أقمن حلقات دراسيّة وحواريّة ضمن مشروع «مصاطب العلم في المسجد الأقصى»، تحت إشراف مؤسّسة عمارة الأقصى والمقدّسات، التابعة للحركة الإسلاميّة في الأراضي المحتلّة، ثمّ تطوّر دور المرابطات فصرن يحضرن بشكل مكثّف داخل المسجد الأقصى وفي ساحاته، ردًّا على الاقتحامات المتكرّرة التي ينفّذها المستوطنون اليهود للمسجد مصحوبة بعناصر عدّة تابعة للأجهزة الأمنيّة الإسرائيليّة.

ب- ظاهرة الصّمود:

استطاع المقدسيّون تحدّي الانتهاكات والإجراءات الإسرائيليّة اليوميّة ومقاومتها، ولا يزالون يشكّلون رقمًا صعبًا في مدينة القدس بالرغم من احتلالها واعتماد الحكومات الإسرائيليّة المتعاقبة أشرس وسائل الاضطهاد والحصار والعنصريّة وأقساها، فنجد صمود عائلات في البلدة القديمة مقابل مراقبة دائمة من العدوّ لهم، تمنعهم حتى من ترميم منازلهم التي بات بعضها مهدّدًا بالسقوط أو ترميمها، فالعيش ليس يسيرًا نتيجة الضغوط التي تمارس على المقدسيّين الذين يعيشون في البلدة القديمة.

وتقوم بعض الجهات الأهليّة الفلسطينيّة والرسميّة بنشاطات مختلفة تهدف إلى تعزيز الصمود في مدينة القدس ومقاومة المخططات الإسرائيليّة التي تسعى إلى إذابة الهويّة الفلسطينيّة، وإحلال الهويّة العبريّة بدلًا منها؛ لذلك تبادر بعض المؤسّسات والجمعيّات الخيريّة بين الفينة والأخرى إلى الاحتفاء بالتراث والتقاليد من خلال إقامة المهرجانات المتعلّقة بالزيّ والملبوسات الفلسطينيّة، أو بالمسكن وأثاثه وأدواته، وكذلك تقاليد الدبكة والأهازيج والزجل، أو ما له علاقة بأصناف الطعام والمأكولات المختلفة التي يحتفل المقدسيّون بها في مواسمها المختلفة، والهدف من إقامة هذه المهرجانات هو إبراز الثقافة الفلسطينيّة في القدس، والتصدّي لسياسات طمس عروبتها وإضعاف الوجود العربي فيها. وقد قوبلت هذه النشاطات من قبل بعضهم بانتقادات، إذ رأوا فيها تشويهًا لمعاني المقاومة وتعزيز الصمود، وباتوا يسألون عن كيفية تعزيز هذه النشاطات لصمود المقدسيّين الذين هدمت بيوتهم، أو هجروا خلف الجدار، أو سحبت هويّاتهم وصودرت عقاراتهم وممتلكاتهم، أو كيف يكون التعزيز في وجه سياسات الاحتلال بتدنيس المساجد

والمقدّسات؟ وأشار المنتقدون إلى فائدة هذا النشاط صحيًّا وغذائيًّا ، ونفوا أن يكون له علاقة بمعاني الصمود والمقاومة[١١].

ويذكر من وسائل الصمود أيضًا خيام الاعتصام، فلا يكاد شارع في مدينة القدس إلّا وشهد نصب خيام للعزاء بالشهداء، أو غير ذلك من المبرّرات التي دفعت بالمقدسيّين إلى انتهاج أسلوب خيام الاعتصام والاحتجاج والصمود، ولم تستطع قوّات الاحتلال وضع حدّ لهذه الظاهرة «خيام الاعتصام»، والجدير ذكره الإرباك الذي تسبّبه هذه الخيام للسلطات الإسرائيليّة، ولا سيّما أنّ قوّات الاحتلال لم تتوصّل إلى الحدّ منها، حيث يتمّ نصب خيام الشهداء الذين يسقطون أعقاب دعسهم أو قتلهم الجنود أو المستوطنين، وفي ذلك إشارة إلى التعاطف الذي يظهره المقدسيّون مع الشهداء.

وقد آزر العديد من المؤسّسات والجمعيّات الأهليّة الفلسطينيّة خيام الاعتصام في مدينة القدس خلال سنوات الاحتلال، إضافة إلى وفود مختلفة تمثّل الأطياف السياسيّة للواقع الفلسطيني، وهيئات أجنبيّة تطوعيّة. وقدّمت معظم هذه الوفود المعونات اللازمة والمساعدات الطارئة لأصحاب الخيام ونشطائها.

مقاومة التطبيع

ويندرج في إطار أساليب الصمود مقاومة التطبيع مع الاحتلال، حيث يرونه أداة ماكرة من أدواته لا تزيد الضعيف تحت الاحتلال إلّا ضعفًا، عدا عن كونها تحرم المقاوم من الصفات الواجب توفّرها فيه، كاليقظة، والاحتراز، وأصالة الهويّة الوطنية. ويُعوّل المؤيّدون للتطبيع من الفلسطينيّين على ما يُسمّى معسكر السلام الإسرائيليّ الذي اعتاد تشجيع الفلسطينيّين على التطبيع، بينما الرافضون للتطبيع يعدّون هذا المعسكر صورة أخرى من صور الاحتلال، ويذكّرون بمواقفه العدائية، ومنها دعمه للحكومات الإسرائيليّة في اعتداءاتها على الفلسطينيّين، وينظر المؤيّدون للتطبيع من الفلسطينيّين والإسرائيليّين إلى عناصر المقاومة المسلّحة وأنصارها من الفلسطينيّين كمتطرّفين ومتشدّدين، «وأنّهم عثرة في طريق السلام»، بينما يسمّون من ينبذ المقاومة من الفلسطينيّين بـ«المعتدلين». ويرى الرافضون أنّ التطبيع مع الاحتلال قد شجّع الأنظمة العربيّة على مزيد من التنازل عن الحقوق العربيّة والفلسطينيّة، وصار بعضها يردّد مقولة «لن نكون ملكيّين أكثر من الملك»، بل تحوّلت من مؤيّدة للفلسطينيّين إلى حليفة للإسرائيليّين، فيما استغلّت إسرائيل دعاية التطبيع مع الفلسطينيّين، وكذلك المفاوضات واتفاقيّات السلام في إعادة صياغة علاقاتها مع المعسكر الدوليّ المتضامن مع الفلسطينيّين، وخصوصًا في أعقاب اتفاقيّة أوسلو، وخسر الفلسطينيّون بسبب ذلك العديد من الأصدقاء والحلفاء، ومقاومة المقدسيّين للتطبيع مع مؤسّسات الاحتلال سنوجزها من خلال الإضاءة على موضوعين متعلّقين بهذا الباب للحديث حولهما، أوّلهما: الموقف من بلديّة الاحتلال، وثانيهما: التطبيع والموقف من زيارة القدس والمسجد الأقصى من قبل المسؤولين العرب والمسلمين.

أ- الموقف من بلديّة الاحتلال

[١١]-هنادي قواسمي، القدس ومعركة الوجود العربي، المهرجانات أنموذجا والعام سلاحًا، مدونة هنادي توك الإلكترونية، https:\\hanaditalk.wordpress.com\2012\05\28\1328\

تحرص السلطات الإسرائيليّة على إظهار بلديّة القدس مؤسّسة مدنيّة خدماتيّة تشرف على تقديم الخدمات المتنوّعة للسكان كافة؛ بهدف إظهارها مؤسّسة ديمقراطيّة، مستغلّة ظروف المقدسيّين الاقتصاديّة والاجتماعيّة القاسية، فهي تحرص على تشجيع المقدسيّين الفلسطينيّين على الإدلاء بأصواتهم في انتخاب مجلس البلديّة سعيًا منها لإيجاد حالة تطبيع العلاقات مع الاحتلال، وفي ظلّ ذلك أقامت «المراكز الجماهيريّة» في الأحياء الفلسطينيّة، وأشاعت مفهوم «بناء علاقات حميميّة مع وجوه من المجتمع المحلي» على أمل إيجاد «قيادات محليّة»[١٢].

وتبدي بلدية القدس الاهتمام بقضايا المقدسيّين السطحيّة، زاعمة الخدمة الموحّدة لجميع السكّان في المدينة، فتعمل على التزيين في المناسبات الدينيّة، من خلال نصب اللافتات والأضواء، وتحرص على إظهار هذه المناسبات كمواسم دينيّة احتفاليّة ناجحة، بغرض «استتباب الهدوء في المدينة» لتحقيق الأمن للإسرائيليّين.

إنّ بلدية القدس لا تغدو سوى جهاز متقدّم من أجهزة الاحتلال الإسرائيليّ بحيث تسعى إلى تنفيذ المخطّطات الاستيطانيّة، وصولًا إلى ترسيخ واقع المدينة كعاصمة موحّدة للشعب اليهوديّ ولدولة إسرائيل، والثابت أنّ جهاز البلديّة الإسرائيليّة يتعاون مع باقي الأجهزة الأمنيّة للوصول إلى الإنسان المقدسي من خلال نقاط ضعفه، والتأثير فيه بهدف إفقاره أو طرده من المدينة أو استمالته.

ب- التطبيع والموقف من زيارة القدس والمسجد الأقصى تحت الاحتلال:

لقد رفض معظم رجال الدين المسلمين والمسيحيّين في فلسطين وخارجها، خلال العقود الماضية زيارة القدس والمسجد الأقصى المبارك تحت الاحتلال، ودعا المفكّرون إلى مقاطعة مؤسّسات الاحتلال الإسرائيليّ بما في ذلك مقاطعة سفاراته التي تعطي الإذن بالزيارات، وكان على رأس هؤلاء شيوخ الأزهر، والأب شنودة رئيس الطائفة القبطيّة المصريّة، وكذلك المؤسّسات الوطنيّة والثقافيّة والنقابيّة رفضت زيارة القدس والمقدّسات تحت الاحتلال[١٣]. وقد طرأ تطوّر مفاجئ على موقف الجانب الفلسطينيّ من فتوى الزيارة، تحديدًا من الناحيتين السياسيّة والإعلاميّة، إضافة إلى الناحية الفقهيّة منها، فرأى الفريق الفلسطينيّ المؤيّد للتسوية السلميّة مع الاحتلال ضرورة زيارة المسؤولين العرب والمسلمين للقدس والمسجد الأقصى من أجل مواجهة التهويد الإسرائيليّ للمدينة ومقدّساتها، ومن أجل تعزيز صمود أهلها الفلسطينيّين، وتمكينهم من التمسّك بأراضيهم وممتلكاتهم، فيما رأى الفريق الآخر، والذي هو الامتداد التقليدي لـ«تحريم الزيارة تحت الاحتلال»، أنّ مقاطعة الاحتلال ومؤسّساته هو الأصل في المقاومة، ولا يجوز القيام بأيّ خطوة في هذا الاتجاه بإذن الاحتلال وبتصريح منه، حتى لو تمثّلت هذه الخطوة بزيارة المسجد الأقصى؛ لأنّ الزيارة بموافقة الاحتلال إنّما تعزّز سيادته على المدينة.

ومن المعلوم أنّ الاحتلال يمسك بزمام آلة إعلاميّة كبيرة تمهّد لسياساته الاستيطانيّة والتهويديّة على الدوام، وتعكس انطباعًا مغلوطًا عن «ديموقراطيّة إسرائيل» والأخلاق الرفيعة لـ«جيش الدفاع

[١٢]- دائرة سليمان الحلبي للدراسات الاستعمارية والتحرر المعرفي.
[١٣]- الدكتور حسام عفانة، رؤية شرعية نقدية في فتاوى زيارة الأقصى، موقع وكالة فلسطين اليوم الاخبارية، ٢٠١٢\٧\٢٢.

الإسرائيليّ»، وصورة معكوسة عن الجهود التي تبذلها حكومة الاحتلال في تأمين حريّة العبادة في المسجد الأقصى خاصّة والمقدّسات عامّة، والذي يؤكّد ذلك استعداد إسرائيل لاستقبال عشرة ملايين سائح أجنبيّ سنويًّا في المدينة، وتتوقّع الحكومات الإسرائيليّة أنّ نجاح الزيارات واستمرارها يؤدّي إلى قبول العرب والمسلمين ومن ثمّ الفلسطينيّين لـ«حالة الأمر الواقع في المدينة»، الحالة التي تشكّل ركيزة أساسيّة ضمن مخطط الاحتلال للسيطرة المطلقة على مدينة القدس المحتلة، وبعدها تأمل إسرائيل في أن يقارن العرب والمسلمون أجواء الأمن والهدوء في أثناء زياراتهم للقدس والمسجد الأقصى، مع ما تعانيه المدن والعواصم العربيّة والإسلاميّة من توتّر واضطراب وإرهاب، وقد صرح رئيس الوزراء الإسرائيليّ بنيامين نتنياهو Benjamin Netanyahu ما يؤكّد ذلك، إذ ادّعى أنّ إسرائيل هي الجهة الوحيدة التي تحمي المقدّسات[١٤]. ولا شكّ في أنّ القدس والمقدسيّين بحاجة ماسّة إلى التضامن والمؤازرة، بسبب ما يعانونه من تهديد وتهويد واضطهاد، إلّا أنّ الرأي الداعي إلى ضرورة زيارة القدس والمسجد الأقصى تضامنًا مع المقدسيّين في مواجهة الاحتلال، ومنعًا للمستوطنين من الاستفراد بالقدس والمقدّسات لم يلق ترجمة حقيقيّة تنقذ القدس من التهويد وتدعم المقدسيّين في صمودهم ورباطهم، على الرغم من أنّ هذا الرأي تدعمه السلطة السياسيّة والإعلاميّة وعموم المؤيّدين لمشروع التسوية السياسيّة، وفي سياق ذلك عقد مؤتمر «الطريق إلى القدس الذي أنهى أعماله بالعاصمة الأردنيّة عمان في ٣٠/ ٤/ ٢٠١٤، بهدف دعم الجهود المبذولة لإنجاح دعوة زيارة القدس والمسجد الأقصى، حيث أفتى المشاركون في المؤتمر برفع الحظر عن زيارة القدس للفلسطينيّين أينما كانوا ومهما كانت جنسيّاتهم، وللمسلمين الذين يحملون جنسيّات دول خارج العالم الإسلامي والبالغ تعدادهم ٤٥٠ مليونًا، بحسب المؤتمر»[١٥]. على الرغم من كلّ ذلك فإنّ الزيارات لم تتحقق بالقدر الذي رُوّج، ولم تتحوّل الفكرة إلى نهج فعليّ ودائم، حتى من قبل المسؤولين العرب الذين تبنّوا الدعوة وسوّقوا لها، سوى بعض الشخصيّات الذين وصفت زيارتهم بأنّها تمّت فجأة وعلى استحياء ومن دون برنامج وطنيّ أو جماهيريّ؛ الأمر الذي حال دون تقديم أيّ مساعدة لتعزيز صمود المقدسيّين.

٦ـ الانتفاضات الشعبيّة:

أـ الانتفاضة الأولى (١٩٨٧ ـ ١٩٩٣):

الانتفاضة عمل مقاوم يندرج في باب الاحتجاج، وهي عبارة عن ردّ فعل شعبي تلقائي ناجم عن الإحباط الشديد ووجود فراغ كبير في مواجهة الاحتلال، خصوصًا في وقت تنحصر فيه المقاومة وتحاصر، ويخلو من آفاق التخلص من الاحتلال، عندها تخرج الجماهير لتعبر بطرق متعددة عما يعتمل داخلها من ضيق. وقد نشبت منذ السنة ١٩٢٠ في فلسطين قرابة ١٨ انتفاضة، وبعضهم يرفع الرقم إلى ٢٥، أوصلت هذه الانتفاضات الاحتلال أحيانًا البريطاني وأحيانًا أخرى الإسرائيلي إلى موقف يراجع فيه

[١٤]- نتنياهو يزعم أن إسرائيل الجهة الوحيدة التي تحمي المقدسات، وكالة الصحافة الفلسطينية (صفا) ٢٠١٥\١٠\٢٠ : safa.px\

[١٥]- مؤتمر بالأردن يشرعن زيارة القدس تحت الاحتلال، الجزيرة . نت ، ٢٠١٤ / ٤ / ٣٠.

حساباته، بسبب ارتفاع التكلفة التي يدفعها ثمن احتلال الأرض والسيطرة على السكّان[١٦]، ونشير هنا إلى بعض الملاحظات المهمّة:

- اندلعت الانتفاضة الأولى، كما صارت تسمّى، في ٨ كانون الأوّل ١٩٨٧، وذلك في أعقاب قيام مستوطن صهيونيّ بدعس أربعة عمّال فلسطينيّين بمحاذاة مخيم جباليا شمال قطاع غزة، ما أدى إلى استشهادهم، وعلى إثر ذلك مشى الآلاف من الفلسطينيّين في جنازة غاضبة، سرعان ما تحوّلت إلى مظاهرات وصدامات مع قوّات الاحتلال، ثم اشتعلت في باقي الأراضي الفلسطينيّة اشتعال النار في الهشيم، قضت قوات الاحتلال سنوات ما بعد خروج منظمة التحرير الفلسطينيّة وهي تتعامل مع الفلسطينيّين في الأراضي المحتلّة بسياسة العصا والجزرة، واستخدمت القفازات الحريريّة أحيانًا، لكن ما إن انطلق الفلسطينيّون بانتفاضتهم حتى قرر الاحتلال استخدام سياسة القبضة الحديديّة والعقاب الجماعي، وقد استخدمت قوّات الاحتلال سياسة الانتقام من الفلسطينيّين في مدينة القدس، كما استخدمتها في الضفة الغربية وقطاع غزة سواء بسواء، وبالرغم من صدور قرار عن مجلس الأمن الدولي رقم ٦٠٥ يستنكر ممارسات دولة الاحتلال في انتهاكها لحقوق الفلسطينيين الإنسانية، فإنّ الحكومة الصهيونيّة استمرت في قمعها للفلسطينيين بشتى الوسائل، بل أعلنت في ١٦ كانون الثاني ١٩٨٨ أنّها ستستخدم سياسة القبضة الحديدية ضدّ المشتركين في الانتفاضة، وطبقت فعليًّا هذه السياسة من خلال ضرب المتظاهرين ضربًا مبرحًا، وتكسير أياديهم أو أرجلهم، وإطلاق النار الحي والمطاطي وقنابل الغاز وقنابل الصوت، وكذلك الاعتقال الجماعي والإبعاد عن الوطن، وغير ذلك الكثير. ولم يتردّد المقدسيون بالاشتراك الفعّال في هذه الانتفاضة، بالرغم من انهيار الاقتصاد المقدسي وتراجع دورالمؤسّسات الوطنيّة بسبب الملاحقات الصهيونيّة القمعيّة، وبالرغم من التضحيات الباهظة في الأرواح والممتلكات والأرزاق[١٧]. عبّر المقدسيّون في هذه الانتفاضة عن غضبهم على الهجمة الشرسة التي نالت منهم من قبل أذرع الاحتلال المختلفة، العسكريّة والسياسيّة والقضائيّة، خلال الثمانينيّات وفي أعقاب إخراج مؤسّسات الثورة الفلسطينيّة من بيروت سنة ١٩٨٢. وخرج المقدسيّون في مسيرات ومظاهرات، ووزعوا البيانات والمنشورات، وكتبوا على الجدران برنامج الانتفاضة الأسبوعي، وصاغوا بأسلوب خاصّ شعارات العمل الثوريّ المقاوم، ورفعوا الأعلام والشعارات، ووضعوا المتاريس في طريق قوّات الاحتلال ومجنزراته، وأشعلوا إطارات السيارات وسدّوا بها طريق جنود الاحتلال ورشقوهم بالحجارة بأيدي نارد النقيفة والمغلاق تارة أخرى، وتخلل الانتفاضة الأولى بعض العمليّات العسكريّة ضدّ الأهداف الإسرائيليّة، ما كبّد الإسرائيليّين خسائر نتج عنها قتلى وجرحى، واشتمل هذا النوع من الكفاح اختطاف جنود بهدف مبادلتهم بأسرى فلسطينيّين، وكذلك ملاحقة العملاء وسماسرة الأراضي وقتلهم، كما شمل هجوم مقدسيّين على جنود ومستوطنين يهود بالسكاكين، واستطاعت القوات الميدانيّة الفلسطينيّة الضاربة من إحكام شبه سيطرة ليلية على العديد من المواقع الفلسطينيّة في القرى والأحياء، وبمرور الوقت

---

[١٦]- مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات ، مستقبل المقاومة الفلسطينية في ضوء التطورات العربية ، سلسلة تقدير استراتيجي (٣١) ، أيار / مايو ٢٠١١ ، انظر : http : / / bit . ly / 2ieo9Eu .

[١٧]-ازن قمصية، المقاومة الشعبية في فلسطين:تاريخ حافل بالأمل والانجاز، رام الله، مواطن، المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية، ومؤسسة ناديا للطباعة والنشر، ٢٠١١، ص:١٩٦.

تصاعد الصراع وتعدّدت أشكاله، بدءًا من نشاط الخلايا المنظمة المرتبطة بالمنظّمات الفلسطينيّة المنضوية في إطار منظمة التحرير الفلسطينيّة، وانتهاء بالخلايا المنفردة التي بدأت تظهر في الأراضي المحتلة سنة ١٩٦٧، مرورًا بأشكال الصراع الأخرى من التظاهر إلى إلقاء الحجارة وغيرها. تكرست حالة صراع أفقدت «إسرائيل» بوصلة التحرك داخل المناطق المحتلة، بعد أن رأت تهديدًا أمنيًّا يدق أبوابها، فشرعت، ومع انطلاقة الانتفاضة الأولى، باستخدام القبضة الحديدية والعقاب الجماعي بهدف التحطيم النفسي للفلسطينيّين، وإضعاف ثقتهم في ذاتهم القومية، وتفتيت وحدتهم الوطنية، وتبديل قناعاتهم في المقاومة[١٨]، وعمدت قوات الاحتلال وأجهزتها المختلفة إلى مواجهة جماهير المقدسيين بالتعذيب والتنكيل الفردي والجماعي، وأغلقت الأحياء والطرقات وحاصرتها من كل الجهات، ونصبت الحواجز العسكرية والأتربة على مداخلها، وكذلك بنت قوات الاحتلال سدودًا وجدرانا إسمنتية بين الأحياء، ولم تتردد باستخدام القتل، ثم أقدمت على ارتكاب مجزرة المسجد الأقصى عام ١٩٩٠[١٩].

وتعدّ هذه الانتفاضة طويلة النفس، ويمكن تصنيفها كمقاومة استنزاف طويلة الأمد، حيث مرت بعدة مراحل ثورية تدرجت من مرحلة التمهيد والعفويّة إلى مشاركة شعبيّة غير منظمة، ثم مرحلة الإعداد والتنظيم العام المؤطر بإشراف القوى الوطنيّة والإسلاميّة.

وعلى الرغم من استمرار ادّعاء إسرائيل بأنّها دولة ديمقراطيّة فإنّها أدركت أنّها لن تتحمّل تبعات انتفاضة الحجارة التي عبرت عن البعد الشعبيّ، وتداعياتها، بعد سنوات من انحسار المقاومة المسلحة التي مارسها الفلسطينيّون ضدّ الاحتلال الإسرائيليّ من خارج فلسطين.

فقد بدت إرهاصات تعرية إسرائيل أمام الرأي العالمي، وعودة القضيّة الفلسطينيّة إلى مقدمة الاهتمام العربي والإسلامي تشير إلى مرحلة جديدة من التعاطف تجاه الفلسطينيّين. وبات المجتمع الدولي أكثر تفهّمًا ووعيًا للقضيّة، بسبب الصورة «اللاعنفيّة» التي أبدعها الفلسطينيّون في أثناء الانتفاضة، بالرغم من كافة الأساليب القمعيّة والإجراميّة التي اتبعتها دولة الاحتلال في قمعهم.

وما أقلق القيادة الإسرائيليّة غلبة التوجه الإسلامي على الكثير من نواحي المقاومة، إضافة إلى أنّ موقع القدس والمسجد الأقصى ومكانتهما في قلوب العرب والمسلمين، يجعل صدى المقاومة وتداعياتها الإعلاميّة شديد التأثير.

ب- الانتفاضة الثانية: انتفاضة الأقصى (٢٠٠٠ - ٢٠٠٤):

اندلعت الانتفاضة الفلسطينيّة الثانية المسماة «انتفاضة الأقصى» في ٢٨ أيلول ٢٠٠٠، وكان السبب المباشر لاندلاعها قيام وزير الحرب الإسرائيلي السابق أرييل شارون باقتحام المسجد الأقصى المبارك

[١٨]-جهاد أحمد صالح، القوى الشعبية وقياداتها المقاومة من أجل القدس بعدو حرب حزيران ١٩٦٧، عمان، جمعية يوم القدس، ٢٠١٢، ص:١١

[١٩]- كمال علاونة، انتفاضة فلسطين الكبرى الأولى ١٩٨٧-١٩٩٤، نابلس، مؤسسة الإسراء العربي، آذار ٢٠٠٧.

بحراسة ثلاثة آلاف جندي إسرائيلي، الأمر الذي أثار غضبًا عارمًا في أوساط الفلسطينيّين في كافة أماكن وجودهم. ثم كان اعتداء قوّات الاحتلال الإسرائيليّ على الطفل «محمد الدرة» في قطاع غزة بعد يومين من اقتحام شارون للمسجد الأقصى، وقتله بالرصاص وإصابة والده بجروح، ثم قتل رجل الإسعاف الذي قدم لمساعدتهما، إضافة إلى اعتداءات أخرى، سببًا مباشرًا إضافيًّا في تأجيج مشاعر الغضب التي انعكست في وجه الاحتلال على صورة مظاهرات عارمة في كافة مواقع التماس مع قوّاته، بما في ذلك مدينة القدس. أمّا الأسباب غير المباشرة فقد تمثّلت بازدياد الهجمة الشرسة من قبل سلطات الاحتلال على المقدسيّين والمقدّسات، نهاية التسعينيّات من القرن العشرين، ولم تتوقف عمليّات هدم البيوت ومصادرة الأراضي وسحب الهويّات وإغلاق المؤسّسات، إضافة إلى الانتهاكات المتكررة للمسجد الأقصى المبارك، والاستمرار في عمليات الحفر تحته والكشف عن مزيد من الأنفاق تحت أساساته وفي محيطه [٢٠]. كما سبق وكمقدمة للانتفاضة الثانية، أن انتفض الفلسطينيّون في وجه قوات الاحتلال ثلاثة أيام متوالية سنة ١٩٩٦، في أعقاب إعلان سلطات الاحتلال عن فتح نفق بمحاذاة السور الغربي للمسجد الأقصى المبارك في ٢٤ أيلول ١٩٩٦، وقد أطلق الفلسطينيّون على مقاومتهم تلك اسم انتفاضة النفق، وتعدّدت أساليب المقاومة لدى المقدسيّين في الانتفاضة الثانية بين الحجارة وأدوات السلاح الأبيض لمدة أربعة أشهر، ثم ما لبثت أن قفزت إلى المرحلة الثانية باستخدام السلاح الناري والأعمال التفجيريّة والاستشهاديّة، وقد اتسمت الانتفاضة الثانية بجملة من الخصائص وكان أهمها: تحوّل الانتفاضة السريع إلى النشاطات العسكرية جعلها تأتمر بأمر قيادات عسكريّة ميدانيّة متنوّعة بتنوّع القوى والفصائل المشتركة، وذلك بخلاف الانتفاضة الأولى التي اجتمعت فيها فصائل منظمة التحرير تحت قيادة موحدة، و دخول المزاج الشعبي العام في ضبابية الأهداف، وذلك بسبب التعقيدات السياسية التي لامست السلطة الفلسطينيّة، فتشتتت القوى والفصائل ومؤسّسات المجتمع بين مؤيد لبرامج السلطة أو معارض أو مرتبك بينهما، وكذلك بسبب الضربات القاسية التي شنتها قوات الاحتلال على الفلسطينيّين، سلطة وشعبًا وقوى وفصائل.

لم تستطع الفصائل الفلسطينيّة بلورة قيادة وطنية موحدة لقيادة الانتفاضة إلا بالحدّ الأدنى من التنسيق المشترك، وذلك لأسباب ذاتية تتعلق بالاختلافات السياسية الكبيرة بينها، بسبب تداعيات ما بعد اتفاقية أوسلو، ولقد خاض المقدسيّون غمار الانتفاضة الثانية، وكان لهم أساليبهم الخاصة في مقاومة الاحتلال، وذلك بسبب الخصوصيّة التي ميّزت الطابع الحياتي للمقدسيّين، كونهم ما يزالون يخضعون تحت السلطة الإسرائيليّة المباشرة، ولأنّ نسبة التداخل بينهم وبين الإسرائيليّين تعدّ كبيرة بالمقارنة مع باقي الفلسطينيّين في الأراضي المحتلة، فمنذ أن أجبرت سلطات الاحتلال المقدسيّين على حمل الإقامة الإسرائيليّة الدائمة، أو ما بات يعرف بالهوية الزرقاء ارتفعت بشكل متسارع نسبة العمالة المقدسية في السوق الإسرائيلي، كما تضاعف حجم ارتباط مصالحهم الاقتصاديّة والصحيّة والتعليميّة وحتى الترفيهيّة مع المؤسّسات الإسرائيليّة والوسط اليهودي، ومع تضخم الاستيطان ازدادت مساحة الاحتكاك بين الأحياء المقدسيّة واليهوديّة وقد مارس المقدسيّون في الأشهر الأولى للانتفاضة أغلب مظاهر المقاومة الشعبيّة السلميّة، ثم ما لبثت الفعاليات أن بدأت بالتحول شيئًا فشيئًا إلى الأعمال العسكريّة كالهجمات

[٢٠]- دائرة سليمان الحلبي للدراسات الاستعمارية والتحرر المعرفي،ؤالهبة الفلسطينية... تحديات وفرص.

بالسكاكين والأسلحة النارية، ومحاولة اختطاف الجنود إلى السيارات المفخخة والعمليات الاستشهاديّة كما في الانتفاضة الأولى، وخرجوا في مسيرات ومظاهرات أيام الجُمع وعند الأحداث الأليمة التي أصابت أهل الضفة والقطاع، ووزعوا البيانات والمنشورات ورفعوا الأعلام والشعارات، ووضعوا المتاريس، وأشعلوا إطارات السيارات وسدّوا بها الطرق في وجه جنود الاحتلال، ورشقوهم بالحجارة، كما تركزت المظاهرات والاحتجاجات بشكل مستمر في ساحات المسجد الأقصى المبارك، تحديدًا أيام الجُمع وفي شهر رمضان المبارك من كل سنة[٢١]. وكانت سياسة التضييق التي تنتهجها قوات الاحتلال في منع شريحة واسعة من المصلّين من دخول المسجد سببًا في مزيد من التوتر ورفع مستوى الاحتجاج والتظاهر، وقد قاوم المقدسيّون ذلك كلّه بالالتفاف حول بوابات المسجد الأقصى، والتجمع للصلاة في الطرقات وعلى الأرصفة ، وخطب الأئمة الخطابات الحماسيّة تأييدًا للانتفاضة في وجه المحتلّ، ورفضًا للسياسات الممنهجة في محاصرة الانتفاضة وقمعها، ورفضًا للاحتلال وسياساته المستمرة في انتهاك حقوق المقدسيين الدينيّة، والسياسيّة، والاجتماعيّة، والاقتصاديّة. لقد شهدت الضفة الغربيّة ومدينة القدس ما بين نهاية الانتفاضة الثانية عام ٢٠٠٥ ومنتصف عام ٢٠١٤، هدوء نسبيًّا فيما يتعلق بمقاومة الاحتلال، وغلب على المقاومة أسلوب السلميّة، وتركزت في بؤر محدودة متعلقة بمقاومة جدار الضم والتوسع العنصري، إضافة إلى مصادرة الأراضي وهدم البيوت.

ت- الانتفاضة الثالثة: (٢٠١٤- ٢٠١٥)

في أعقاب قيام مجموعة من المستوطنين بخطف الفتى المقدسي محمد أبو خضير أوائل تموز/ يوليو من عام ٢٠١٤، ومن ثم حرقه حيًّا، اشتعلت أحياء مدينة القدس بالأحداث المناهضة للاحتلال، ثم انتشرت الاحتجاجات والمظاهرات إلى باقي الأراضي الفلسطينيّة، واستمرت المظاهرات بين شدّ وجذب مع ما رافقها من اشتباكات مع قوات الاحتلال قرابة ١٥ شهرًا، حتى اشتعلت مرة أخرى أوائل تشرين الأول / أكتوبر من سنة ٢٠١٥، وبصورة نوعيّة غلب عليها طابع دعس الجنود والمستوطنين وطعنهم بالسكين. وصرح رئيس تحرير موقع ميدل إيست آي Middle East Eye، في مقالة بعنوان «المعركة على القدس» أبرز ما يميّز هذه الانتفاضة الفلسطينيّة عن الانتفاضتين اللتين سبقتاها، أنّها ستكون معركة يخوضها الفلسطينيّون الذين يعيشون داخل الجدار الذي أنشأته إسرائيل حول نفسها، أي من قبل فلسطينيّي القدس الشرقيّة وفلسطينيّي أراضي ١٩٤٨ والذين هم مواطنون إسرائيليّون، وأضاف هيرست: وبهذا يكون نتنياهو محقًّا هذه المرة في إعلانه أنّ هذه فعلًا هي «المعركة من أجل القدس»، وهي إمّا أن تكون المعركة الأخيرة التي يخوضها الفلسطينيّون قبل أن يستولي المستوطنون على القدس الشرقيّة بأسرها، أو أنّها ستكون المعركة الأولى في نضال أكبر وأطول، بحيث تصبح فيه القدس قطب جذب للمقاتلين من كل حدب وصوب، سنّة وشيعة، علمانيّين وإسلاميّين، جهاديّين أو تكفيريّين أو قوى قوميّة ووطنيّة، لقد اختار نتنياهو الساحة القادرة على جذب جميع هؤلاء إليها[٢٢].

[٢١]- عبد الرؤوف الأرناؤوط ، القدس هبة شعبية بلا قيادة ، مجلة الدراسات الفلسطينية، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، المجلد ٢٦، العدد١٠١، شتاء ٢٠١٥، ص:١٣٢

[٢٢]- اسعد عبد الرحمن، الانتفاضات الثلاث: شهادات اسرائيلية، صحيفة الاتحاد، ابوظبي، ٣٠\١١\٢٠١٥.

وصف العديد من الكتّاب والمحلّلين هذه الأحداث بـ«انتفاضة القدس» أو «الانتفاضة الثالثة »، وقالوا إنّ العمود الفقري للانتفاضة الجديدة يتمثل في الجيل الذي ولد على أعتاب اتفاقات أوسلو وإبانها، وإنّه جيل لم تكبله الاتفاقات ولا الالتزامات الدوليّة والأمنيّة، والانتفاضة الثالثة قد انطلقت فعلًا وهي تحمل في انطلاقتها ومسارها خصوصياتها التي تميزها عن الانتفاضتين الأولى والثانية، وأنّ هذا أمر طبيعيّ يتعلق بسياق الظروف والمعطيات المتنوّعة[٢٣].

وامتازت الانتفاضة الثالثة بغياب القيادة المركزيّة الموجهة للانتفاضة، الأمر الذي أدّى إلى شيوع أسلوب العمليات الفرديّة في مقاومة الاحتلال، وباختيار أسلوبي الدعس والطعن بشكل أساسي، وبمشاركة القاصرين والأطفال، إضافة إلى امتياز الانتفاضة الثالثة بظاهرة «الاقتداء» وظاهرة «الثأر» من الجنود والمستوطنين.

يوم القدس العالميّ

تؤيّد جمهوريّة إيران الإسلاميّة رسميًّا قيام دولة فلسطينيّة حيث تعدّ فلسطين دولة محتلّة، ويرفض آية الله علي خامنئي، المرشد الأعلى لإيران، حلّ الدولتين، ويشير ضمنًا إلى أنّ فلسطين لا يمكن تجزئتها، قبل الثورة الإيرانية عام ١٩٧٩، كان لمنظمة التحرير الفلسطينيّة علاقات وثيقة مع جماعات المعارضة الإيرانيّة، وفي أعقاب الثورة أنهت إيران تحالفها مع إسرائيل وشرعت بدعم الفلسطينيّين، وتمثّل هذا بتسليم السفارة الإيرانيّة في طهران إلى منظمة التحرير الفلسطينيّة[٢٤].

وكان اللافت ما نادى به الإمام الخمينيّ في السابع من آب عام ١٩٧٩، عندما أعلن الجمعة الأخير من شهر رمضان يومًا عالميًّا للقدس لإحياء ذكرها سنويًّا من قبل المسلمين والأحرار في هذا العالم، وكان الهدف من هذا الإعلان إبقاء القدس التي تشكّل في رمزيّتها دليلًا على فظاعة العدوان الصهيونيّ على الأمّة حاضرة في ذهن المعنيّين بالشأن الفلسطينيّ لتحفيزهم، وتحشيد الطاقات لاستعادة الأرض والحقوق من اليد التي اغتصبتها في غمرة الغفلة العربيّة والإسلاميّة التي أتاحت للغرب أن يضع يده على المنطقة.

لكن الإعلان لم يكن ليروق للمنظومة الغربيّة الصهيو- أمريكيّة التي سارعت إلى شجب الفكرة، ورفض الاحتفالات بيوم القدس العالميّ، ومن ثمّ تصعيد الحرب على إيران، مع إلزام الدول العربيّة التي تخضع لها بالامتناع عن التجاوب مع الدعوة تلك، غير أنّ هذا النداء تردّد ولقي الكثير من الآذان الصاغية لدى من آمن بأنّ فلسطين حقّ لأهلها الأصليّين، ولا يجوز أن تترك للمغتصب الصهيونيّ.

وبالرغم من الرفض والقمع استمرّ «يوم القدس العالمي» حاضرًا في الساحة الإسلاميّة والإنسانيّة يجذب الى فلسطين وقدسها كلّ من يعيش الحرية في نفسه، ثمّ كانت المقاومة الإسلاميّة في لبنان التي رفعت شعار «يا قدس إنّا قادمون» التعبير العملي لهذه لفكرة، مؤكدة وجوب إقران القول بالفعل وترجمته في الميدان، وهذا حصل في جنوب لبنان، ما أدّى الى إخراج المحتلّ منه عام ٢٠٠٠، وتكرر في غزة عام ٢٠٠٥.

[٢٣]- منير شفيق، اجعلوها انتفاضة ثالثة أم هبة شعبية؟، موقع شبكة فلسطين للحوار، ٢٠١٦\١\١٩.
[٢٤]- ٠٧ أغسطس ٢٠١٧ على موقع واي باك مشين.

لكن «إسرائيل» وأصحاب المشروع الغربيّ الصهيو- أمريكي لم يتقبلوا فكرة امتلاك القوة من قبل أحد لا ينصاع لإملاءاتهم، فكان الرد حربًا بالقوة الصلبة، ثم فتنًا بالقوة الناعمة؛ سعيًا الى تجريد المقاومة التي انتظمت في محور صلب من إيران إلى سورية ومعهما المقاومة في لبنان والمقاومة في فلسطين، خاصة في قطاع غزة، ما أدى الى صراع وتنافس بين مشروعين متناقضين: مشروع المقاومة لاستعادة الحقوق المغتصبة في فلسطين لأجل بناء شرق أوسط لأهله، ومشروع الاستعمار الرامي إلى تصفية القضيّة الفلسطينيّة وتثبيت «إسرائيل» على نحو تام في كلّ فلسطين من دون أن يهدّدها أحد أو يطالبها أحد بحقّ اغتصبته، وتحويل الشرق الأوسط الى مستعمرة غربيّة كبرى.

الوضع القانوني للقدس

الجدير ذكره أنّ «كلّ مدينة القدس» لم يحسم وضعها القانوني في القانون الدولي، كما أنّ آخر قرار دولي يعالج مسألة القدس مجتمعة هو قرار التقسيم لسنة ١٩٤٨ الذي يضع «كلّ منطقة القدس» ضمن إدارة دوليّة لما يسمى "كوربوس سبراتوم Corpos sepratum كجسم منفصل. لذلك تعدّ كلّ الخطوات الإسرائيلية ما بعد ١٩٤٨ بموجب القانون الدولي غير قانونيّة، ولم يتم الاعتراف بغرب القدس كعاصمة لـ«اسرائيل»، وعدّت مناطق محتلة، وقرار مجلس الأمن الدولي رقم ٢٤٢ لا يلغي مكانة القدس في القانون الدولي، كما لم تلغِ الاتفاقيات والتفاهمات الفلسطينيّة-الإسرائيليّة هذه المكانة منذ اتفاقية أوسلو عام ١٩٩٣، بل إنّ اتفاقية أوسلو قد وضعت القدس، دون تحديد لجغرافيّتها «شرقها وغربها» ضمن موضوعات مفاوضات الحلّ النهائي[٢٥].

وكان مجلس الأمن الدولي قد أصدر عدّة قرارات بشأن مدينة القدس منذ عام ١٩٦٧، وجميعها تشجب الانتهاكات الإسرائيليّة وتدعوها إلى وقف إجراءاتها التهويديّة، وتشير إلى بطلان تلك الإجراءات الهادفة إلى تغيير هويّة المدينة، وتطلب من إسرائيل الالتزام بمسؤوليّاتها القانونيّة بموجب اتفاقية جنيف عام ١٩٤٩ المتعلقة بحماية المدينة والمدنيين وقت الحرب[٢٦].

القدس في خطر

بغضّ النظر عن العواطف وعن مركزيّة القدس؛ يوجد مؤشّرات تشير إلى سياقات مستقبليّة خطرة، وتنبه إلى ضرورة أن يتحمّل الجميع مسؤوليّاتهم تجاه القدس لإنقاذها، نذكر أبرزها:

أوّلًا: إنّ متابعة السلوك التفاوضي العربي يبيّن التغير في المواقف العربيّة والفلسطينيّة المستمرّ. حيث بدأت الدبلوماسية العربيّة على أساس رفض قيام دولة إسرائيلية في فلسطين، ثم قبلت الهدنة معها، ثم قبلت التفاوض معها، ثم الاعتراف الكامل بها، ثم بدأ التخلي التدريجي عربيًّا عن الموضوع الفلسطينيّ، ما يعني أنّ الطرف العربي قد يواصل هذا التراجع في كل الموضوعات (اللاجئين، والحدود، والمياه، وحق المقاومة). وهذا لا يستبعد احتمال الاعتراف بالقدس عاصمة موحّدة لـ«إسرائيل» من قبل بعض العرب، وعليه يجب التركيز على الاتجاهات وليس على الأحداث.

[٢٥]- نظمي الجعبة، الإسكان في القدس: بين مطرقة الاستيطان والامكانات المتاحة، سلسلة : أوراق تقييم الأداء، رام الله، معهد السياسات العامة، ٢٠٠٩، ص:٨.

[٢٦]- منظمة التحرير الفلسطينية، اللجنة التنفيذية، مصدر سابق، ص: ٦٢ .

ثانيًا: علينا قياس موازين القوى من ثلاثة اتجاهات ألا وهي: المتغيّرات الماديّة، والمتغيّرات المعنويّة، وفنّ إدارتها وتوظيفها، ولعلّ المتغيّر الأوّل هو في صالح الطرف العربي بالقياس الكمي، والمتغيّر الثاني مزيج بعضه لصالح الطرف الصهيوني (التطور، والتماسك الداخلي، والتكنولوجيا... الخ) وبعضه لصالح الطرف العربي (القدرة على تحمل الخسارة والمعاناة لفترة طويلة)، لكن المتغيّر الثالث وهو فنّ إدارة متغيّرات القوة، وهو الأهم في ميزان القوى، فهو لصالح محور المقاومة الآن وعليه استغلاله.

ثالثًا: من الأسلم رؤية الواقع كما هو، لا كما تزيّنه الرغبة سواء أكانت هذه الرغبة سياسيّة أم دينيّة أم عقائديّة أم غير ذلك. وأعتقد أنّ هذا الجانب يتجلّى في التفكير السياسيّ العربي بشكل أكبر كثيرًا منه في التفكير السياسيّ الصهيونيّ.

رابعًا: الرأي العام الإسرائيليّ، وفقًا لدراسات معهد دراسات الأمن القومي في جامعة تل أبيب[٢٧] فإنّ هناك علاقة بين درجة التمسك بشرق القدس لدى الرأي العام الإسرائيليّ وزخم المقاومة للاحتلال، فدراسات المعهد تقول:

• في الفترة ١٩٩٤ إلى ١٩٩٨ كان ٨٠% من الرأي العام الإسرائيليّ يرفض تقسيم القدس أرضًا أو بلدية.

• في الفترة ١٩٩٨ إلى ٢٠١٤ تراجع رفض التقسيم إلى ما بين ٦٥% و٧٠%.

• في الفترة ٢٠١٤ إلى ٢٠١٥ و٢٠١٦ تراجعت نسبة الرفض إلى ٦٠%، ويقول تقرير المعهد إنّ انتفاضة السكاكين بين ٢٠١٥-٢٠١٦ كان لها دور مهمّ في التراجع المتواصل عن فكرة عدم التقسيم المدينة، كما أنّ وجود الجدار العنصري العازل بين الأحياء العربيّة واليهوديّة عزز التراجع وبلغ عام ٢٠١٧ نحو ٤٩%.

وحول إجراء تغييرات في وضع القدس الحالي كانت النتائج كالآتي:

• إنّ ٢٥% يريدون بقاء الوضع الحالي في القدس على ما هو عليه.

• إنّ ٢٠% يؤيدون مزيدًا من إجراءات الفصل بين العرب واليهود في القدس.

• إنّ ٢٧% يؤيدون منح الفلسطينيّين في ضواحي القدس العربيّة (شرق القدس) مزيدًا من الصلاحيّات لإدارة شؤونهم باستثناء القدس القديمة.

• إنّ ٢٨% يؤيدون بلدية مستقلة للفلسطينيّين ولكن تحت سلطة «إسرائيل»، وهو مستوى أعلى من قبل، حيث كان في السنوات ٢٠١٧ حوالي ٢٣%.

[27] - Nir Hasson, Jerusalem's Palestinians Hold the Key to Israel's Future, Haaretz, 21/1/2018, https://www.haaretz.com/opinion/.premium-jerusalem-s-palestinians-hold-the-key-to-israel-s-future-1.5748269

ويرى المعهد أنّ هناك مشكلات تواجه السياسة الإسرائيليّة في القدس تتمثل في الآتي:

- أغلب المجتمع الدولي ينظر للقدس الشرقية كأرض محتلة.
- كثافة البعد الديني لليهود والعرب (والمسلمين) يؤجج المشاعر ويجعل الانفجار محتملًا في كلّ مرّة.
- الظروف المعيشيّة القاسية لسكان القدس الشرقيّة تجعل الاستقرار أمرًا أكثر صعوبة.
- التحديات الأمنية المستمرة داخل القدس الشرقيّة ومحدوديّة الوجود الإسرائيليّ فيها.
- إنّ ٣٨% من سكّان القدس (الشرقيّة والغربيّة) هم من العرب واحتمال زيادتهم (عدد سكان القدس الشرقيّة ٢٣٠ ألف فلسطيني) – نسبة المستوطنين في الضواحي العربية في القدس أقل من ١% من السكان العرب في المناطق التي فيها المستوطنات. مما يعني أن نسبة اليهود للعرب تتزايد لصالح اليهود على أساس الارتفاع في نسبة المستوطنين من صفر مستوطن لكل ٨,٧٠٠ فلسطيني (عام ١٩٩٠) إلى مستوطن لكل ٤٠ فلسطيني حالياً[٢٨].

خامسًا: بدأ التغيّر في الموقف الأمريكي منذ إدارة ريغان (١٩٨١-١٩٨٩) أي بعد خروج مصر من الصراع، وأخذ هذا التغيّر خطوات تدريجيّة تجعل من موقف ترامب الأخير غير مفاجئ.

سادسًا: يبدو أنّ التوجه الإسرائيليّ في موضوع القدس هو نحو: تشجيع قيادات محليّة عربيّة على الظهور، وإيكال مناصب بلدية لها، وتحسين الظروف المعيشيّة في شرق القدس وضواحيها، وهناك اقتراحات جرى تداولها في «إسرائيل» مثل:

- اقتراح مناحيم فرومان: بلدية واحدة فيها دائرة دينية للمسلمين والمسيحيين.
- اقتراح أستاذة القانون الدولي روث لابيدوت :Ruth Lapidot تقسيم القدس حسب الدين، وتأجيل موضوع السيادة إلى ٣٠ سنة قادمة.
- اقتراح أستاذ قانوني آخر هو شمويل بيركوفيتز Shmuel Berkovitz اعتبار الأماكن المقدسة الإسلاميّة «مقارًا للبعثة الدبلوماسية الفلسطينيّة» فتكون السيادة داخل المقر لهم لكن ضمن الأراضي الإسرائيليّة.

[28] -Nir Hasson, Jerusalem's Palestinians Hold the Key to Israel's Future, Haaretz, 21/1/2018, **https://www.haaretz.com/opinion/.premium-jerusalem-s-palestinians-hold-the-key-to-israel-s-future-1.5748269**

خلاصة

إنّ موازين القوى هي التي ستحدّد مصير القدس، فـ«إسرائيل» ستعمل على توظيف خلل موازين القوى لصالحها بأكبر قدر ممكن؛ وستعمل على تسريع قطف ثمار هذا الخلل، خوفًا من تداعيات العناصر التي أشرت إليها، وهو ما يعني أنها ستحاول دفع المزيد من الدول لنقل سفاراتها للقدس (كوستاريكا أعادت سفارتها للقدس عام ١٩٨٠، ولحقتها السلفادور عام ١٩٨٤، ولكن الدولتين عادتا بسفارتيهما إلى تل أبيب عام ٢٠٠٨) مع ملاحظة أن هناك ٩ قنصليّات أجنبية في القدس (الولايات المتحدة، غواتيمالا وهندوراس وتوغو وجزر الهادئ: مارشال ومايكونيزيا ونورو وبالو)، كما ستسعى لتغيير التركيبة السكّانية في القدس والتضييق على سكانها لدفعهم للهجرة أو للانتقال لمناطق أخرى داخل الضفة الغربيّة.

إنّ مواجهة المخاطر الحقيقيّة المشار إليها أعلاه تستدعي استنفار جميع الجهود الفلسطينيّة والعربيّة والإسلاميّة والدوليّة للحفاظ على هويّة القدس العربيّة والإسلاميّة، وحفظ مقدّساتها ودعم صمود أهلها، ولا سيّما أنّ هناك عوامل استراتيجيّة لغير صالح الطرف الإسرائيليّ بدءًا بالسكّان (عدد الفلسطينيّين في فلسطين التاريخيّة الآن (٢٠١٩) هو ٦,٤ مليون مقابل ٦,٣ مليون يهوديّ، وطبقًا لمعدّلات النموّ السكّاني سيكون ٥٤% من سكان فلسطين من العرب مقابل ٤٦% من اليهود بين ٢٠٣٠-٢٠٣٥، وهي مشكلة كبرى لـ«إسرائيل» سيدفعها نحو أحد التوجّهات الثلاثة الآتية:

أ. الانسحاب من الضفة الغربيّة، وفيه خطر تقليص العمق الاستراتيجيّ للدولة اليهوديّة.

ب. عدم الانسحاب (مشروع نتنياهو)، مع مخاطر التحوّل التدريجيّ لدولة ثنائية القومية، مع كلّ ما يترتب على ذلك من مخاطر.

ج. تكرار نموذج غزة؛ أي الانسحاب من أقل قدر من الأراضي بأكبر عدد ممكن من السكان العرب، وهو أمر يقتضي التهجير التدريجي للعرب، والتحوّل نحو نموذج المعازل العنصريّة أو «البانتوستانات».

بالإضافة إلى احتمالات التحوّل الاستراتيجيّ الأمريكي من الشرق الأوسط إلى المحيط الهادي (الباسيفيكي)، وتراجع أهمية المنطقة للولايات المتحدة، خصوصًا مع المشكلات الاستراتيجيّة التي تواجهها الولايات المتحدة مثل: تنامي الدور الصيني، والاستقلال الطاقوي الأمريكيّ، ومشكلات الاقتصاد الأمريكيّ (المدين الأول عالميًا)، وتنامي سوء توزيع الدخل، وارتفاع الجريمة لأعلى نسبة بين الدول الصناعيّة، هذا يندرج أيضًا على عدم النجاح الإسرائيليّ (حتى الآن) في دفع الولايات المتحدة أو قوى أخرى عربيّة أو دوليّة إلى مواجهة إيران عسكريًّا، لتعميق الخلل في موازين القوى في المنطقة، في ظلّ التراجع التدريجي في درجة التعاطف مع «إسرائيل»، كما تدلّ كلّ استطلاعات الرأي العام الدولي، وهو أمر تشعر «إسرائيل» بمخاطِرِهِ بعيدة المدى، ولا سيّما في بروز بعض التشققات في البنية الاجتماعيّة الإسرائيليّة مع الفلاشا، أو تجمع الروس في أحزاب معيّنة دون غيرها، إلى جانب الحساسيات القديمة المعروفة في الثقافات الفرعيّة في المجتمع الإسرائيلي الصهيوني، مع القلق من أنّ عدم استقرار المنطقة العربيّة قد يقود إلى تغيّرات في بعض الأنظمة، باتجاه وضع غير مناسب لـ«إسرائيل»، سواء نتيجة انقلابات عسكرّية أم بسبب الثورات أو الفوضى في بعض الدول مثل الخليج أو مصر...إلخ.

وهكذا، فلعلّ قضيّة فلسطين تواجه سنة صعبة في ٢٠٢٠، لكنّها سنة مخاض، تصبُّ في بيئة انتقاليّة، تدفع باتجاه انهيار مسار التسوية وتجربة «أوسلو»، وتُعزّز من فرص صعود خطّ المقاومة بالرغم من الصعوبات التي يواجهها.